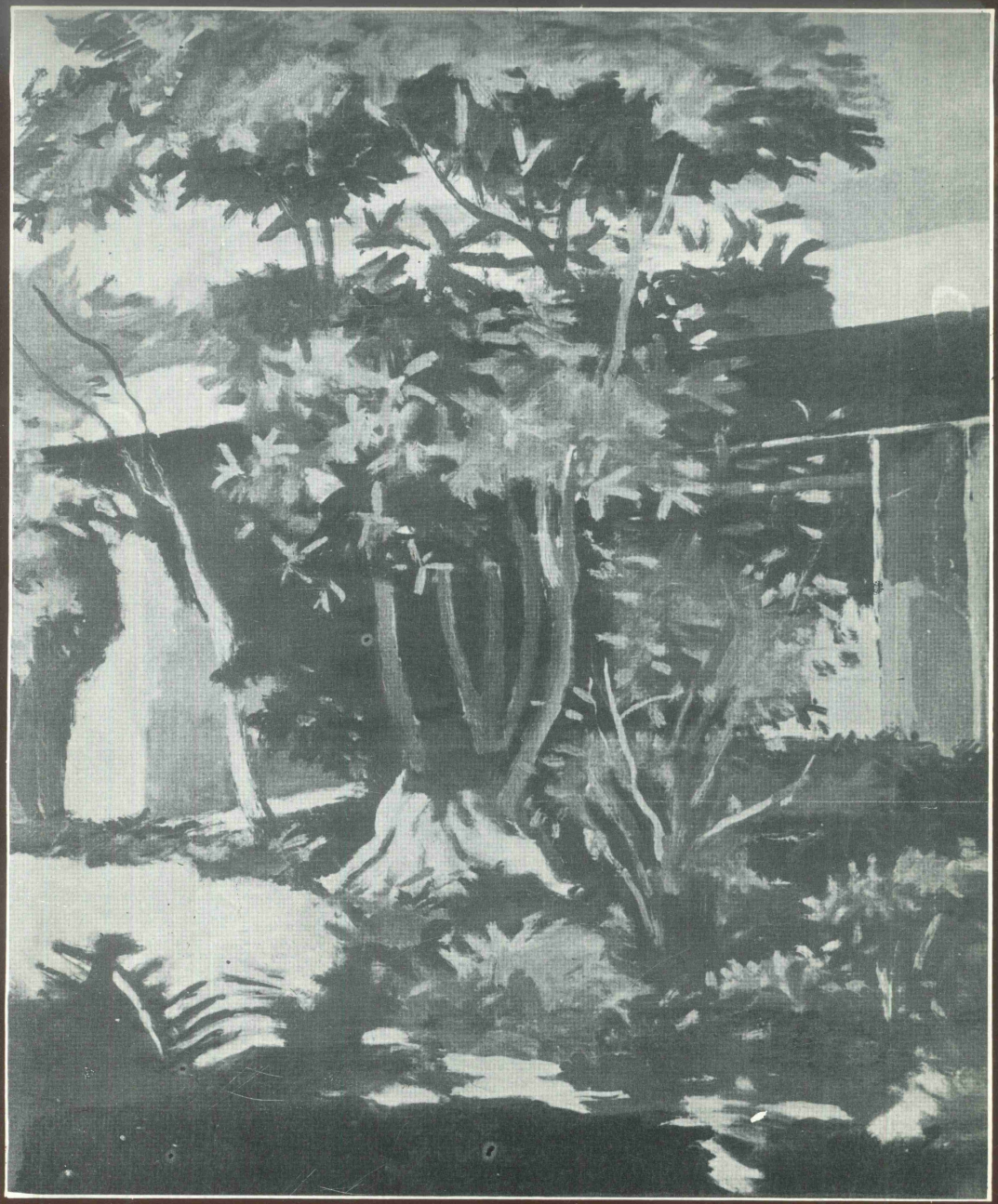

خالد القصاب

مركز صدام للفنون - قاعة المعارض - ٦/ آيار/ ١٩٩٠

اجتـزاء المشهـد

ما الـذي يصنعـه فنـان أرعبتـه الطبيعـة بكل موجوداتها القـائمـة، وسكنـه جنون تقلباتها الفيزيائية الساحرة التي لا يدركها الا الذين تطورت مواهبهم الذهنية عبر مرانٍ حسيٍ طويل..

يقينـاً ان هذه العمليـة ستحكم بنـوعٍ خاصٍ من التحدي الفـوتوغرافي للطبيعة يؤكد امكانية الانسان على نقل عناصرها بمنحى مرئي تحـويـلي.. لكنهـا قد تكـون أحيـانـاً ضربـاً من محـاورةٍ جمـالية تتخذ لنفسها أبعاداً متطاولة في اعادة خلق تركيبـة تلك العناصر وسماتها اللونية، وسيكون الفنان بطلها الفذ الـوحيـد حين يُطلق لفـرشـاتـه العنـان.. يسبـر أغوار الطبيعـة، يستخـرج ماهـو كامن في داخلهـا، وينفذ من قشرة المكـونات نحو الجوهر.. فتطفح على قماشات لوحاته ألوان قد لا نراها بمعاينة تقليدية..

على شاكلة كهـذه، تجيء اعمـال الفنـان د. خالـد القصاب صادقة.. معبرة.. تثير فينا شعوراً بالألفة والتعاطف وتضعنا في منـاخـاتٍ مفـرطة في نقاوتها.. تكتسحها مسحة لونية زرقاء حتى كأن الطبيعة تفصح عن بهائها بألقٍ أرزقٍ حالم.

وعلى الرغم من هذا الفعل التقني، تنقلنا أعمال القصاب الى طبيعـة تتسم بالمبـاشرة التكـوينيـة دونما اضافة على صعيد البنـاء التشكيـلي للوحة.. فالفنان هنا يمارس نشاطاً إقتطاعياً لبنيـة الطبيعـة ذاتهـا فيجتـزيء مشهـداً تصـويـرياً كاملاً ويضعـه على سطح اللوحة ويشحنه بما إعتمل في دواخله من نزعـةٍ نفسية مؤقتة، أي إنه يؤسس مقترباته مع الطبيعة على نحو انطولوجي.

لقـد بقي خالـد القصـاب مخلصـاً لهـذا المشهـد الطبيعي المجتـزأ طيلة ستـةٍ وأربعـين عامـاً حين بدأت تجربته الفنية بقـدح شرارتهـا الأولى، كان خلالها رجلاً متحفظاً يحسب بدقةٍ كل اضـافـةٍ جديدة تزعزع كيانه التصويري، وفي نفس الوقت يستكشف من خلالهـا أبعـاد القـوة الـداخليـة للعناصر التي تتفجـر في لحظـة المـواجهـة البصرية المشفوعة بمخيلة تؤمن بمغامرة فنية متطرفة تصطلي بنار الرؤيا.

كفاح الحبيب

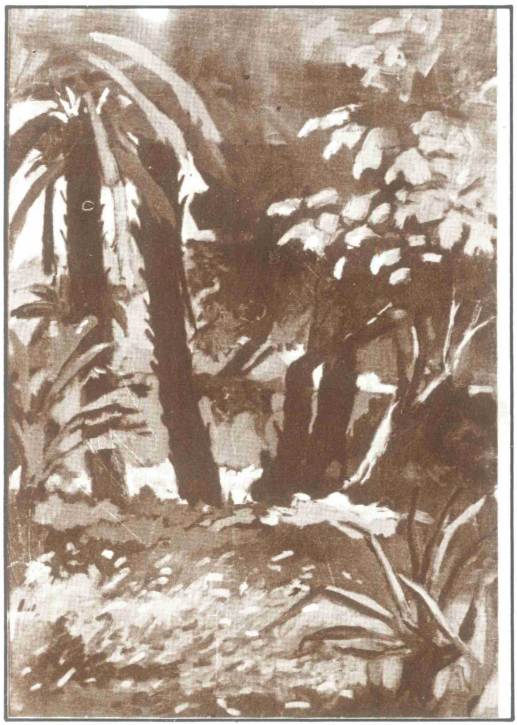

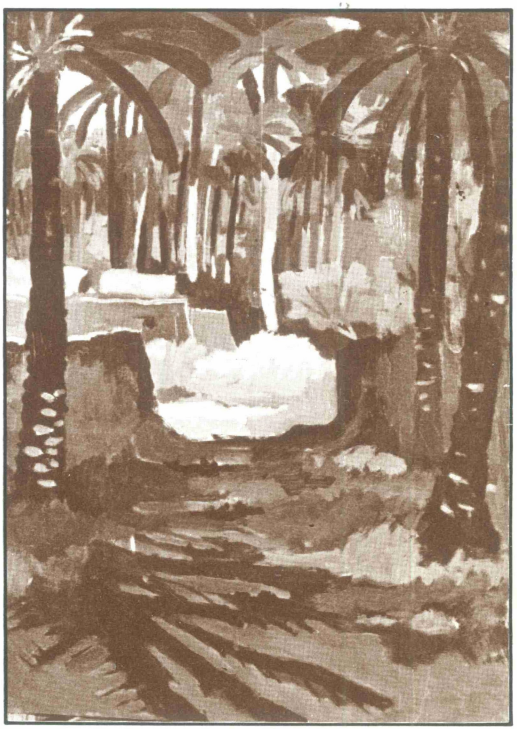

لقد غير رسامو الطبيعة البارزون، كفائق حسن وجواد سليم وحافظ الدروبي واسماعيل الشيخلي، اساليبهم كما غيروا مقترباتهم من التجربة البصرية، وكان في هذا التغيير المطرد تنويع للرؤية، وتطوير للاسلوب ـ الامر الذي كان متوقعاً من اصحاب الحرفة التصويرية في عالم كثير التقلب في الطوق والتطلعات. غير ان الدكتور خالد القصاب بقي مسترسلاً في استقصاءاته للطبيعة استرسال العالم في بحثه المتواصل.

يضيف كل مرة عمقاً جديداً الى نظرته، وعشقاً جديداً الى مجاميع عشقه، لكن ضمن شروطه هو ـ تلك الشروط التي اضفت على كل لوحة من لوحاته سماته التي لن تخطئهم العين، سواء من حيث اللون او الشكل، فالمشاهد تتنوع لديه، وغابة الملك القديمة وبساتين الجادرية تتحول الى غابات وبساتين اخرى، عراقية وغير عراقية، وتتحول في الوقت نفسه الى غابات المدينة نفسها، عمارات الطابوق والاسمنت، الى النهر القديم وهو يجري مسترسلاً بين ضفاف تتغير مع الزمن مبانيها، وترتفع قاماتها، وتتجدد الوانها.

ولعل ما يميز تطور فن خالد القصاب هو هذا الاتساع بالرؤية، وهذا التحول من المشاهد الريفية الى المشاهد الحضرية لعل الجراح الفنان كان في السياق الذي اخذ يؤكد نفسه بعد اواسط الخمسينات، حين انصرف الفنانون العراقيون، بصورة تكاد تكون تامة، عن تصوير الطبيعة للتأكيد على الناس: للتأكيد على الناحية البشرية في ماتراه العين، مهما يكن المحتوى الذي راحوا يشحنون به رؤيتهم هذه للناس، سيكولوجياكان،ام اجتماعيا، ام سياسيا.

اما خالد القصاب، فكان تأكيده منصبا على المدينة، يسجل قديمها العمرانية وحديثها، وبذلك يسجّل صلته النفسية العميقة بمشهد سريع التغيّر، ولكنه يبقى دائما زاخرا بعواطفه المكتومة، وهي عواطف حبّ للفضاء المكاني، تؤكد عليه خطوطه القوية،وألوانه الحادة، مهما حاول كبتها.

لقد بقي خالد القصاب مخلصاً لهذه الرؤية وهذا الحب، وتبدّى ذلك في نزعته «السيزانية»، التي بقيت تميّز لوحاته بين لوحات افراد «جماعة الرواد» ويوم عاد بعض الفنانين، في فترة لاحقة، الى مواضيع الريف وأهليه، كان فنهم قد اخذ مسارات تتفاوت تفاوت اساليبهم الشخصية. غير ان خالد القصاب بقي مغايراً لهم جميعا، نظرة واسلوبا، مواكبا ـ عن وعي او غير وعي ـ ذلك التطور الاصيل الذي عرفه الفن من الانطباعية، ثم الى الوحوشية التي جعلت الفنان، في فترة ما، قريباً جدا باجوائه من لوحات الرسام فلامانك، وقد تأثر ايضا بالخطوط التأكيدية التي تبنّاها بعد ذلك التكعيبيون، وكذلك الرؤيويّون الذين أرادوا اختزال الرؤية الى جوهرها القُدسي، من امثال جورج روو. و في ذلك كله كان فناننا انما يغتني قوة ومضاء في تصويره هذا «الخارج» الماثل ابداً امام العين، متحدّياً، غاويا، محيّرا، مشيرا إلى ذاته و في الوقت نفسه متخطيا ذاته نحو كل ماهو في سيولة وتغير، دوماً وأبداً.

والغريب، واللافت، ان هذا الجراحّ البارع، الذي يعرف عن التشريح الانساني مالا يعرفه اي فنان مهما انخرط في رسم الجسم البشري، انصرف في رسمه نحو تشريح الطبيعة دون الانسان، حتى لتكاد رسومه ـ إلّا فيما ندر ـ ان تخلو من الناس.

إنه يضعنا بين الاشجار، والمباني، وعلى ضفاف الانهر، ليقدّمها لنا خالصة، صافية: خطواً، وكتلاً، والواناً، فتعيدنا في النهاية إلى وعينا الانساني وروابطنا العميقة الغامضة بالمكان، بالارض، بالخضرة، بالمياه، وسواء اكانت مشاهد المدينة قائمة في بغداد ام البندقية ام اية حاضرة اخرى، فانها تستثير فينا صلة الانسان بما تصنعه له الطبيعة، او بما يصنعه هو لها، وهي صلة عشق مقيم، دونه عشق الشعراء..

جبرا ابراهيم جبرا

كيف يمكن لفنان ان يصل الى حدود المنظور، دون ان يدنو منه الى الحد الذي يجيزله ملامسة اغراءاته؟ السؤال الذي يطرح علينا نفسه الآن، كلما ابتعدنا عن الطبيعة فصارت في مرمى المنظر من مراسمنا ولوحاتنا.

لكن الطبيعة تبقى حية مزدهاة بكل جلالها وجمالها وبساطتها هنا في اقترابات الفنان خالد القصاب.. واظنني ما كنت اشعر بالسعادة يوماً قدر شعوري بها كلما اطلت النظر والتأمل في بساتين هذا الفنان ومشاعره الخلوية.. انه ينتسب الى اصدق الانطباعيين دون ان يخسر شيئاً من عراقيته الأصيلة في النظر الى النخيل والظلال وتعاشقات الألوان، وهو في ذلك انما يعيد كل تاريخ «جماعة الرواد» وايامهم التي امتدت على مساحة زمنية تربو على العشرين عاماً.

لا حلم هنا ولا خيال.. بل هي المداناة الانيسة لشعر الطبيعة، وهو يصف المطر والضوء واختلاجات النفس في حضرة الطبيعة.. ولا عجب في ذلك مادام فن خالد هو الطبيعة، مضافة الى الانسان.

نوري الراوي

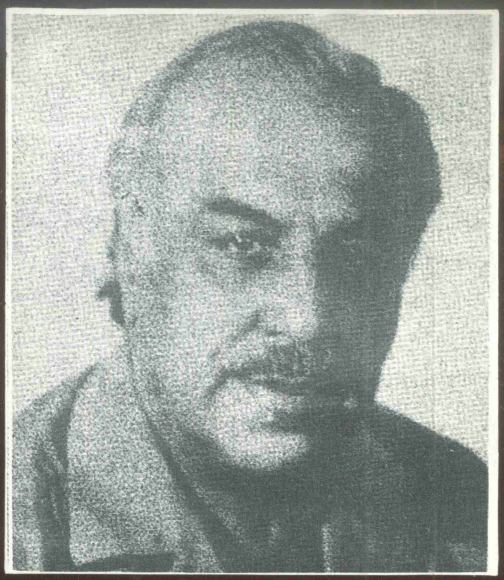

خالد القصاب

- ولد في بغداد عام ١٩٢٤
- تخرج في كلية الطب ـ جامعة بغداد، وكان من الطلاب النشطين فنيا اذا اشترك في معرض الكلية الذي اقيم سنة ١٩٤٥ وحاز على الجائزة الاولى، وكان عضواً في جمعية الموسيقى بالكلية وقد قدمت اول حفل موسيقي لاوكسترا كاملة في بغداد عام ١٩٤٥.
- عضو مؤسس لجماعة الروّاد، وقد نظّم اول معرض سنوي لها في دار بكرادة مريم عام ١٩٥٠، واشترك في جميع معارضها الاربعة والعشرين ماعدا المعرض الثالث لانشغاله في الدراسة في المملكة المتحدة.
- حصل على زمالة كلية الجراحين بلندن عام ١٩٥٤. وانضم لتدريس الجراحة في كلية الطب ـ جامعة بغداد، وعمل رئيساً لقسم الجراحة فيها.
- درس جراحة السرطان في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٨.
- عضو مؤسس لجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين واول سكرتير عام لها.
- عضو مؤسسة لجمعية التراث البغدادية.
- شارك في المعارض التالية
  - ـ معرض الفن العراقي في باندونغ (اندونيسيا) ١٩٥٦.
  - ـ معرض بغداد للرسم والنحت في نادي المنصور ١٩٥٦و١٩٥٨.
  - ـ معرض الفن العراقي في بيروت ١٩٥٧
  - ـ معرض الفن العراقي المتجول في موسكو، بكين، وارسو، وصوفيا ١٩٥٨.
  - ـ معرض الفن العراقي المتجول في اوربا الغربية ١٩٦٥.
  - ـ معظم معارض جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين السنوية ومعرض افتتاح مقر الجمعية عام ١٩٦٥.
  - ـ معرض الرسم في نادي الصيد العراقي ١٩٨٣.
  - ـ معظم معارض مهرجانات الواسطي.
- اقامت له وزارة الثقافة والاعلام ـ دائرة الفنون معرضاً تكريمياً شاملاً عام ١٩٨٦ على قاعة المعارض ـ مركز صدام للفنون.